محمد الماغوط..
أقل موتاً وأكثر حياة وشعراً

في أربعينية الشاعر السوري الراحل محمد الماغوط (أواخر مايو ٢٠٠٦م) تحدث الشاعر محمود درويش عن مكانة الماغوط في تحديث القصيدة العربية ودوره (الاستثنائي) الذي جعله مقبولاً من أطراف عديدة لا يؤمن بعضها بقصيدة النثر، التي لم يكتب الماغوط سواها طيلة مسيرته الشعرية. وختم كلمته بالقول إن الماغوط الآن أقل موتاً منا وأكثر حياة؛ وبذلك لخّص درويش ما سيظل من الماغوط في الحياة الشعرية؛ فلقد كان يقترح دوماً تلك القصيدة التي يقول هو نفسه إنها عفوية لا تمتثل لأي فكر مسبق، بل هو يصرح في آخر مقابلاته بأنه لا يرى للفكر مكاناً في الشعر. لذا تبتدئ قصيدة محمد الماغوط وتنتهي بمطابقات صورية تدخل في باب المفارقات التي جعلته مقبولاً من جمهور الشعر الذي لم يقبل قصيدة النثر المتخلية عمّا ألفه ذلك الجمهور واعتاده من وزنية ورتابة موسيقية وتقفية.

في آخر أعماله الشعرية (شرق عدن غرب الله..) (دار المدى ٢٠٠٥م) يعود الماغوط إلى سخرياته وصوره القائمة على التناقض والتضاد فيتحدث عن حياة خاسرة لم تعطه شيئاً حتى تحت أكثر الشعارات قدسية ووطنية وعروبة وفي مقدمتها « فلسطين » :

أعطيتها الحرية..
فأعطتني السجون
أعطيتها القصور والقلاع..
فأعطتني الأكواخ

محمد الماغوط

أعطيتها الشمس..
فأعطتني الظلام
أعطيتها الأفق
فأعطتني الأسلاك الشائكة و(خارطة الطريق).

وفي كل ما كتب عن الماغوط بعد موته – وهو تأبين وتذكرات حزينة – لم يغب الاستثناء الذي أخذه بجدارة بين شعراء جيله ومدرسة مجلة «شعر» التي قدمته عام ١٩٦٠م للجمهور، والإشارة إلى جهده المسرحي الذي عزّز حضوره وضمن له البقاء في الذاكرة عبر التقاطاته التي يقودها إليه حسّه الغريزي أو العفوية التي لا يتنصل عنها منذ دواوينه الأولى، مما أهّله ليكون الأكثر تأثيراً في أجيال الشعراء الذين عمّقوا منهجه في المطابقات الصورية ذات الطابع النقدي الساخر.

ح. الصكر